نجيب محفوظ

يرد على منتقديه ويعترف

- كنت أعرف أن مذكراتى ستثير المشاكل لكننى أديب ولست تاجرًا .
- الثورة كرمتنى وكأنها قامت خصيصًا من أجلى .
- نعم .. فرحت عندما حاول الإخوان اغتيال عبد الناصر !
- هناك فرق بين العمل والليكود فى إسرائيل .. والسلام لا يقوم على القهر .
- لست متمردًا ولست محافظًا وحريتى فى الفن .
- كل كتبى تزوّر فى العالم العربى .
- يوسف شاهين أخذ منى الحرافيش وركنها .

عندما حددت موعد أول لقاء مع الأديب نجيب محفوظ قطعت طريقًا مزدحمًا بالأسئلة والسيارات حتى وصلت إلى منطقة العجوزة حيث يسكن على النيل .. الذى شهد نزهاته كل صباح .. فمثلما ارتبط الأديب العالمى بأحياء مصر الشعبية وحواريها الضيقة ، ارتبط بنيلها وعشق شمس أصيله فتواعد يوميًا معها على اللقاء .

احترت فى أول لقاء من أين أبدأ وإلى أين أنتهى وأنا أتحاور مع صاحب نوبل فى الأدب ومؤسس فن الرواية العربية الحديثة ولكن وجهه البشوش عندما يهل على ضيفه يزيل الارتباك ويشعر بالراحة فتأنس إليه وتذهب معه فى سهولة ويسر إلى أبعد مما يصبو خيالك .

لذا تعددت اللقاءات بينى وبين شيخ الروائيين العرب وتجرأت على مناقشة عدد من القضايا الساخنة معه ، واجهته بآراء منتقديه وصدمته بأحكام مهاجميه فلم يجزع أو يثر وإنما رد ردودا موضوعية حكيمة أثبت من خلالها أنه بحق فوق مستوى النقد والهجاء لأنه كاتب حر وليس تاجرًا جشعًا ، وكانت اعترافات نجيب محفوظ التى نشرت مؤخرًا ، هى أكثر الأحداث إثارة للجدل فى الواقع السياسى والثقافى المصرى والعربى ، فما أن وجه الروائى العالمى انتقادات لثورة يوليو وجمال عبد الناصر ، حتى فتح عليه الهجوم من كل جهة ، وجاءت اعترافات محفوظ أكثر إثارة للنقاش من بعض أعماله المثيرة مثل " أولاد حارتنا " ووجد نفسه وجهًا لوجه مطالبًا بالتفسير والشرح ، كل ذلك لأن محفوظ انتقد الحروب والمعارك الخارجية لثورة يوليو ، وأعلن أن تأميم القناة كان خطأ ناصريًا ، ووصف حرب الاستنزاف بأنها " كلام فارغ " وقال : إن جمال عبد الناصر مثل محمد على جاءته فرصة لبناء دولة عظيمة لكنه أضاعها بالمطامع والحروب الخارجية ، كل ذلك وغيره أحدث صدمة لدى بعض الناس .. مؤيدين ومعارضين فجاء الحوار الذى يجيب فيه نجيب محفوظ ويوضح المزيد من التفاصيل :

كل الذين انتقدوا نجيب محفوظ انتقدوا التحليل السياسى مع احترامهم لقيمته الأدبية .. فمن أى قاعدة انطلقت لتقييم تجربة ١٩٥٢ وشخصية جمال عبد الناصر ؟

تقييمى للسياسة ليس بوصفى سياسيًا أو مؤرخًا ، لكن كمواطن .. له ردود أفعال على ما يحدث حوله وقد اعتبرت ثورة يوليو أكبر مكسب حصلنا عليه – فى حياتى على الأقل – وبنيت عليها آمالا كبيرة ، وقلت :

إن مصر أصبحت فى يد أبنائها لأول مرة ، وأخيرًا وجدنا من يتصدى بإخلاص للفقر والجهل والمرض والقهر والديكتاتورية ، كان هذا يعبر عن رأى وآمال مواطن ، على ضوء ذلك بدأ يتابع الأحداث ، تقييمى للثورة ينطلق من حبى لها ، ولجمال عبد الناصر الذى تابعت أعماله ، وشعرت فى وقت من الأوقات أننى أعيش فى دولة عظمى ، وكنت متعجبًا كيف تأتى العظمة بهذه السهولة ، أو فى هذا الوقت القصير ، لكنى كنت أفكر وأتأمل عندما تأتى النتائج مختلفة وأتساءل : كيف ذلك .. يارب .. هل أخطأنا ؟

هل من حق الأديب الحديث فى السياسة ؟

من حق أى إنسان أن يتكلم فى السياسة لأنها حياتنا اليومية والعامة ، وعندما يدعى الناس للانتخاب تكون دعوة للملايين لإبداء آرائهم لا فرق بين حاكم وأديب .

ألم تشعر وأنت تنتقد عبد الناصر أنك تصدم مشاعر جيل منحته الثورة قاعدة للحلم ؟!

أنا أعلم أن أى نقد لعبد الناصر أو غيره سيؤلم ويستفز أنصاره خاصة أن له ولاء جيل بأكمله ، طبعًا الإنسان لايحب هذا الموقف .. لكن لاننى أخذت على نفسى مصارحة القارئ بما يكمن فى قلبى ، فقد تحملته .. خاصة أنه ليس بينى وبين عبد الناصر أى سبب شخصى يجعلنى ضده ، وعندى ألف سبب وسبب يجعلنى معه .

جيل عبد الناصر

هناك جيل لم يعاصر عبد الناصر ، ولكنه يمثل له تاريخًا ؟

هذا جيل محظوظ لأنه وجد من يقول له من هو عبد الناصر ، وما هى الثورة بعد وفاته ، ولكن على هذا الجيل أن يعتاد الانتقادات ، وأن لكل رأى آخر مضادا ، والمعرفة الحقيقية

تأتى بالتفكير ليس فقط قراءة وجهتى نظر متباينتين ثم سؤال شخص ثالث حتى يسير خلفه ، حكموا عقولكم ، لا تخافوا النقد وتعدد الآراء .. لأن العقل هو المرشد والمصباح الذى يقود نحو الحقيقة ، ثورة يوليو ليست شيئًا بسيطًا ، إنها ثورة الحرية ، والعدالة الاجتماعية ، وهى ثورة مبادئ يجب أن ترسخ فى نفوس الشباب ، وعندما تتعرضوا للنقد .. ردوا على النقد ، كلامى ليس قرارات ولا كلاما من موقع سلطة ، إنه رأى قد يكون صحيحًا أو يجانبه الصواب .

وهل أخطأ عبد الناصر فى تصدير الثورة إلى كل بلاد العالم الثالث ، وكان من الأفضل الأخذ بفكرة الستار الحديدى لبناء الوطن من الداخل ؟

الحكاية ليست كذلك ، الثورة كأى سلعة يجب أن تصدر ، لكن السؤال كيف تصدر هذه السلعة ؟ ترى هل هى مسألة قوة ! كان أمامنا طريقتان للتصدير أولهما : تحسين البلد ، وجعلها كاللؤلؤة تحظى بإعجاب الناس وفخرهم ، وتصبح مثالا يرجع فضله إلى الثورة .

ثانيهما : بالسياسة والمخابرات والتهديدات والاعتماد على التحدى ، وتوزيع السلاح ، ولكن ذلك بشروط ، بالقوة المساندة حتى نستطيع التصدى للمستعمر ، وإلا ستضيع ثورتنا الأصلية .

قلت إن عبد الناصر مثل محمد على .. كلاهما كان لديه فرصة نادرة للنهوض بمصر وجعلها " يابان عصرها " ، ولكن سياستهما الخارجية كانت السبب فى ضياع تلك الفرصة .. كيف ؟

محمد على أنشأ الدولة المصرية ، وكون أعظم جيش ، وبنى المصانع ، والقناطر الخيرية ، وضاعف الأراضى الزراعية ، ولو اكتفى بهذه الإنجازات ، ونفذ أوامر الخليفة فى أضيق الحدود ، واهتم ببلده ، كانت مصر ستضاهى اليابان اليوم ، لأن نهضة محمد على سبقت اليابان بسنوات ، وكانت البعثات اليابانية تأتى لمصر طالبة العلم ، ولكنه لم يعرف كيف يقرأ الخريطة الدولية، فطمع فى الخلافة، أراد فتح تركيا بينما كانت الدول العظمى تنتظر سقوط الخلافة كى ترثها ، فاجتمعت كلها وضربت محمد على ، حاصروه ودفعوه لإغلاق مصانعه .

أما جمال عبد الناصر فقد تولى مسئولية مصر فى ظروف خاصة ، وقدم خدمات جليلة ، حيث قضى على النظام الملكى ، والإستعمار ، والإقطاع ، وبنى السد العالى ، وأمم الاقتصاد ، وخدم الشعب الفقير ، ومنحه الأمل فى العيش بكرامة ، لكن الكبوة جاءت إلينا من الحروب ضد قوى تحديناها بطريقة أو بأخرى ، وكانت النتيجة تصفية كل هذه الإنجازات ، وجعلها خرابات .

تشاؤم

فى حديثك عن رواياتك قبل النكسة قلت أنه انتابك لفترة طويلة إحساس متشائم تجاه مستقبل المجتمع المصرى .. فما مصدر ذلك ؟

قلت ذلك فى وقت كنا نسمع فيه عن فساد ، وبعد أن زرنا اليمن ، وحدثت لنا مأساة حرب اليمن ، هناك بدأ قلبى يرتجف من الخوف ، لا أعلم السبب بالضبط ، ولكن بعد ما كنت متفائلاً ١٠٠٪ أصبح تفاؤلى ٥٠٪ أمل و ٥٠٪ خوف من المستقبل .. ترى إلى ماذا ستنتهى كل هذه الأحداث .. وهل كان يعلم عبد الناصر ما يحدث أم أنهم يخفون عنه الحقائق .. فكان الخوف !

الآن هناك أسباب أخرى للخوف .. أحداث اقتصادية مثل التى واجهت أسيا ، أعلم أننى لست رجل اقتصاد أو سياسة ، ولكنى أتساءل : ألم نكن نطلق على هذه الدول لقب "النمور" ؟ وهل ليس هناك خطر محدق بنا مثلهم ؟! .. البعض يتوقع حدوث ذلك ، وهنا مصدر القلق والخوف الذى يجب أن يقدره المسئولون .

تحدثت واثقًا عن صلاح نصر وأجهزة المخابرات بأنهم كانوا مطمئنين لجانب عبد الناصر ، وما كانوا ليجازفوا بأفعالهم تلك لو كان لديهم شك فى اعتراضه عليها .. فهل يجب على الحاكم مهما كانت سطوته أن يغمض عينيه عن بعض الفساد ؟

بعد أن فكر نجيب محفوظ طويلا قال بإصرار : لا .. لابد أن يبحث لنفسه عن علاج فى هذه الحالة .. حتى لو أغمض عينيه مؤقتًا لأسباب سياسية فعليه أن يضمر ضربة قاضية للفساد فى وقت من الأوقات ، ولا يتركه يستشرى حتى يضيع ملكه ، وما اسمعه عن الدول من بعض القراءات أنه لا تخلو بلد من قدر من الفساد ، مثلما لا تخلو

الدنيا من الشر ، فليس هناك خير مطلق .. وأحسن البلاد وأسعدها لا تخلو من شر ، ولا تخلو من فساد ، فالقدر المعقول لا يضر ، لكن الخوف أن يستشرى ليصبح قاعدة فى المعاملة بدلاً من القانون .. وهذا يكون نذير شؤم لأى بلد .

النخبة

ما تقييمك العام لرجال الحكم فى ثورة يوليو ؟

هذا السؤال يحتاج إلى دراسة " ثم تساءل مندهشًا " : اتهمونى بأننى أديب ليس لدى ما أقوله فى السياسة ، فكيف تطالبوننى بتقييم نخبة الثورة ؟ وضحك طويلاً ثم قال : " ليس هناك شك فى أن عبد الناصر والسادات كانوا من زعماء العصر ، كل فى وقته ، وكثير من رجال الثورة تركوا آثارًا عظيمة عندما تقلدوا مناصب وزارية – ثم صمت برهة وعاد ليقول – لا أريد أن أسوق لك مثالاً شخصيًا ، لكن ثروت عكاشة هو أحد الذين تفخر بهم مصر كشخص وكوزير ، والله أعلم ، عندما كنت أسمع عن بعض الفساد والتعذيب أنظر لوجوه مرتكبيه أحدث نفسى قائلاً : ربما لو دخلت إلى نفوس هذه الوجوه سأجدها بلا شك تتألم مثلى تمامًا .

وبعد مرور ٤٦ عامًا على ثورة يوليو ماذا بقى منها اليوم ؟

فكر قليلاً ثم قال : الثورة حركة تقوم بتغيير ما قبلها لتفتح الباب لما يأتى بعدها ، وليس مطلوبًا أن تظل موجودة ، إنما لا يصح أن تضيع مبادؤها الأساسية ، وأعتقد أن فكرة العدالة الاجتماعية لا تمحى من الحاكم المصرى بعد ثورة يوليو ، لأنها أصبحت عقيدة ، ومهما كانت المعاناة لابد من عمل حساب للشعب وللإنسانية ، مبدأ آخر لم تنفذه الثورة رغم أنها نصت عليه ، وهو " الديمقراطية " التى تعد وصية من وصايا الثورة لابد من تنفيذها ، كذلك " الوحدة العربية الواقعية " ، التى أحصرها فى رافدين : الاقتصاد والثقافة ، فهى أيضًا وصية لابد أن تدوم ، من آثار الثورة حدث ضخم وعظيم وهو السد العالى .. فإذا تحدثنا عن خدماته فنحن بحاجة إلى كتاب ، فهو جزء من مشروع كبير لابد أن يتم وإلا ستصبح مصر مهددة بالضياع .. هذه هى آثار ثورة يوليو .

موجة أخرى

وهل يحتاج العالم الثالث إلى موجة أخرى من الثورات لمواجهة أزماته المتلاحقة مثل موجة الستينيات ؟

العالم الآن مقبل على شئ جديد غامض بالنسبة لنا ، سترفع فيه الحواجز ، وتنعدم الأيديولوجيات ، وما نتوقعه هو العودة للعنصر أو الدين ، وحتى يأمن كل شخص على نفسه ، فإنه سيرجع لشئ فى أصله وسيعود من جديد ما قضت عليه الأيديولوجيات ، ولكن إذا استطاع النظام الجديد تذويب هذه الاتجاهات فى شكل إنسانى حديث ، سيتعرض العالم لخلق جديد ، وإلا فليس هناك سوى الثورات والحروب .

وما تقييمكم للاستخدام المبتذل لمفهوم الثورة مثل ثورة التنمية .. ثورة الصناعة .. ثورة الأغنية .. ثورة المسرح ؟

هذا نوع من البلاغة عندما نحكم على شئ بالجودة نسميه ثورة ، فانتشار الصناعات لدينا فى الفترة الناصرية – على سبيل المثال – يعد ثورة صناعية والتقدم الزراعى الحادث الآن ثورة زراعية ، إنها صفة من صفات البلاغة تدل على عظمة الشئ ونموه وليست ابتذالاً .

أستاذ نجيب .. هل يحتمل مجتمعنا ثقافة الاعتراف مثلما يحدث فى اعترافات كتاب الغرب فى كتب السيرة الذاتية ؟

تساءل الأديب الكبير مستفسرًا : " الاعتراف "؟ ثم صمت لحظة ليقول : تعلمين بصدق .. الكتاب الذى أثار كل هذا اللغط والاختلاف لم أقرأه ، لأننى أعجز عن القراءة ولا أعلم ما فيه بالضبط ، لكن ما أستطيع قوله أننى تكلمت منذ حوالى ثمانى أو تسع سنوات ولو تحدثت اليوم فلاشك أنه سيكون هناك بعض التغيير لبعض الاعترافات ، وذلك نظرًا لاختلاف حساسية المجتمع .. زمان ربما كان المجتمع يقبل مصارحته ببعض " الهلس " والخروج عن المبادئ ، لكنه اليوم سيعترض بحدة ويكون على حق فى ذلك ، فى أدب الاعترافات ، يحتاج الأديب إلى شجاعة تزداد يومًا بعد يوم وإلا فليذهب فى داهية ويريح نفسه . ثم عاد يتساءل : اعترافات إيه ؟! الذى أوقعنى فيها أصدقائى من الأدباء والنقاد ..

ظلوا يتساءلون .. أين سيرتك الذاتية ؟ .. كأنها فرض ، سيرتى الذاتية أستحلبها وأقطرها وأخرج منها بفن .. فلماذا لا أتركها كذلك ولماذا تتحول لاعترافات مكتوبة .. لقد ظل جمال الغيطانى يطاردنى حتى أخرج للجمهور " نجيب يتذكر " ثم اقترح الأهرام علىّ فكرة هذا الكتاب الذى جلب لى " وجع الدماغ " " ثم استغرق فى ضحك شديد " .

الندم

هل أنت نادم على هذا الكتاب ؟

تنهد عميقًا ثم قال : لا .. كنت أتوقع كل هذا النقد .

ألم تخش بآرائك الأخيرة من اهتزاز صورتك لدى رجل الشارع ؟

أعلم يوم دعيت للمفاوضة أن صورتى ستهتز ، ومع ذلك قبلت وعلمت بعد الكتاب أن صورتى ربما تهتز ولكن نحن كتاب ولسنا تجارًا ، علينا واجب لا نبحث عن الرواج والأمان لنسير خلفهما ، أتذكر فى حوار لى مع الشوربجى عندما نصحنى بالامتناع عن إجابة سؤال محرج طرحه علىّ فأجبته قائلاً : أنا لست تاجرًا وإنما كاتب .. وعلمت أننى سأخسر البلاد العربية وبالفعل قاطعتنى وقتها ومنعت كتبى وأفلامى وإذاعة اسمى .. كل هذه مقدرات والكاتب يجب أن يكون مستعدًا للتضحية ولو حتى باسمه ومجده فى سبيل كلمة الحق .

أستاذ نجيب .. لم يحدث أن كرمت الثورة أديبًا مثلك .. فلماذا تغير موقفك منها ؟

" تمامًا " ليس هناك شئ شخصى بينى وبين الثورة .. أحيانًا أردد مع نفسى وكأن الثورة لم تقم إلا لى .. نعم شرفت بتكريم وتقدير من كل نوع .. فكانت رواياتى معارضة وليست مؤيدة على طول الخط ، ومع ذلك احتملها رجال الثورة وقدروا أننى رجل برئ لا يقف خلفى حزب ولا ستار .. منحت وسام الاستحقاق من الطبقة الأولى وكذلك وسام الجمهورية وجائزة الدولة التقديرية ، ولو كنت سياسيًا أو لدى استعداد للسياسة ربما اختارونى وزيرًا . ثم ضحك قائلاً "ولكنهم يعرفون جيدًا كيف يختارون" !

هل تظن أن إسرائيل بلد يستطيع العيش فى سلام .. وهل هناك فرق بين الليكود والعمل ؟

نعم .. هناك فرق بين الليكود والعمل ويمكن لأى إنسان فى هذا العالم أن يعيش فى سلام إذا توافرت الظروف إذ ليس هناك جنس بشرى شرير بالسليقة ، فلماذا هذه الصورة ؟ لقد وقعنا سلامًا مع اسرائيل منذ عشرين عامًا فهل ارتكبت شيئًا يدل على غدر أو تراجع .. أبدًا ، أثناء حكم بيريز كان بيننا وبين حقوقنا شبر واحد حتى جاءت أحداث التطرف وظهر نتانياهو على السطح فعدنا أدراجنا .

هناك من يتهمهم بالتمثيل وافتعال الأحداث وأجيب على ذلك قائلاً : هل كان رابين يمثل أثناء حادث إغتياله دور هاملت فى رواية .. بالطبع لا .. السلام ممكن ولكنه لن يستقر إلا إذا حصل الناس على حقوقهم وبعد ذلك تكون هدنة مؤقتة ولو طويلة الأجل .

لكن إسرائيل استفادت من " السلام " مع مصر لأنها نجحت فى التفرغ للقضية الفلسطينية كما تفرغت لذبح اللبنانيين والفلسطينيين .. فهل لازلت عند موقفك ؟

نحن نريد الآن حقوق الفلسطينيين والسوريين .. ويجب أن نضعهم نصب أعيننا .. هناك مبادرة فرنسية مصرية وأخرى أمريكية كما أن هناك مبادرات إسرائيلية قد تتم .. والكلمة التى لابد أن تقال للإسرائيليين سواء كانوا معتدلين أو متشددين : إن السلام الذى يقوم على القهر مؤقت .. هدنة .. وينذر بمضاعفات فى المستقبل ولكن إذا حصل الناس على حقوقهم وارتضوها يمكن أن يصبح هذا الشرق شرقًا جديدًا .

السلطة

تقول أنك لم تكن يومًا رجل سلطة لأنك اخترت الأدب ، فلماذا قبلت العمل كرئيس لمؤسسة السينما ؟

لا .. لقد قبلت الأدب .. والأديب فى مصر يجب أن يكون موظفًا لأن الأدب لا يوفر له قوت يومه .. وضحك بشدة ثم قال : " الأدب يجلب للأديب النكد فقط " .. أما رئاسة مؤسسة السينما فهى وظيفة أسندت لى مدة عام أو عامين وليس منصبًا رفيعًا تميزت به عن غيرى .

موقفك من قضية تأميم قناة السويس يتعارض مع موقف مصر كلها .. لأنك قلت أنه كان سيتم تسليمها لمصر سنة ١٩٦٨ بحجة تجنب الصدام مع القوة العظمى ؟

أنا لست ضد التأميم .. ويوم حدث التأميم كدت أطير وأقفز من الفرح وأنا معه مليون فى المائة .. وكنت أقول لنفسى "غير مصدق " أنا أشم تهديد إنجلترا وفرنسا .. وكان يجب على عبد الناصر قبل الإقدام على هذه الخطوة العظيمة والفريدة أن يكون مطمئنًا . أتساءل ألم يكن يعلم بهجوم إنجلترا وفرنسا وإسرائيل .. ليس معقولاً ، وإلا يكون واحدًا يسير إلى هلاكه بنفسه . ولم أتصور مطلقًا حدوث شئ وقلت لنفسى أن لعبد الناصر حساباته ومعلوماته عن الموقف الدولى كله وهذه الحركة الجريئة ستأتى بنتيجتها والسلام .

وعندما نزلت علينا القنابل ودخل الإنجليز والفرنسيون مصر مرة أخرى وهجمت إسرائيل انزعجت إنزعاجًا شديدًا للغاية . لماذا هددونا بأعز شيئين : الاستقلال والثورة .. وكنت أسير وسط صفارات الإنذار دون أن أحتمى بشئ .. كنت فاقدًا للوعى .. وجلست أفكر كيف يحدث ذلك .. كيف لم يُقدر .. كيف لم يدخل فى الاحتمال .. وكنت أقول : يارب .. هذه الحركة رغم جمالها إلا أنها خاطئة .. مادامت أدت لهذه النتيجة كان يجب أن تؤجل .. كنا سنأخذها بعد سنوات دون أن ندفع تعويضات . فكيف نغامر مغامرة قاتلة كهذه دون حساب .. هذا هو رأيى .. أنا لست ضد التأميم بالعكس .. لقد كان أول حدث يجعل من عبد الناصر زعيمًا بعد أن كان رئيس ثورة فأدخله هذا الحدث فى طور الزعامة .

وعود الإنجليز

قلت إن الإنجليز لم يسبق لهم أن أخلوا بوعد وأنهم سيسلمون القناة ومع هذا ذكرت فى الكتاب نفسه .. أن الإنجليز كانوا قد وعدوا بمنح مصر الإستقلال بعد الحرب العالمية .. وهذا لم يحدث ؟

لا الإنجليز لم يعدوا ، ولا يمكن أن أكون قد ذكرتها ، هذا ما توقعناه كانت معاهدة ١٩٣٦ ـ على ما أذكر ـ تنص على أن يكون الجلاء عام ١٩٥٦ أى بعد ٢٠ سنة ، هذا

شئ مفروغ منه ، عندما جاءت الحرب ووقفنا إلى جانبهم بإخلاص شديد ومنحناهم أموالاً .. تساءلنا لماذا تؤخرون استقلالنا وطالبناهم به .. فكان منطق النحاس معقولاً أننا نستحق الجلاء بينما ظلوا يتشدقون بالقانون .. عناد .. انتهى بحريق القاهرة .

أنت تعتبر ثورة ١٩ هى الثورة الوحيدة فى العصر الحديث .. هل ثورة ٥٢ لم تكن ثورة ؟

قلت ثورة العصر الحديث ولم أقل الثورة الوحيدة فى العصر الحديث ، فى تاريخنا معروف أن ثورة ١٩ هى أول ثورة شعبية قام بها الشعب المصرى واشترك فيها الفلاح .. والشعب كله .. ولذلك كان الشعب المصرى فى روح صمود وثورة وإبداع فخلقت من الشعب وبعيدًا عن السياسة " رأسمالية وطنية " .. " موسيقى " و " فن حديث " .. "نهضة المرأة " .. كل هذا صنعه الشعب لأنها ثورة شعبية أساسها قوة الشعب فقط بمفردها وبدون ترتيب .

أما ثورة ١٩٥٢ فبدأت بانقلاب الجيش الذى استولى على السلطة وكان يصح أن يظل ويكتفى بذلك لكن حققت مبادئ وأمانى وغيرت فى المجتمع فأصبحت تستحق لفظ ثورة بكل جدارة .

ما قصة المراقبة التى فرضت على زوجتك .. بعد " أولاد حارتنا " .. هل كانت من قبل الدولة ؟

هى التى أخبرتنى بذلك .. كانت تلاحظ مراقبة من أشخاص لها فى السوق ولا أعرف الهدف من ذلك .. يظهر أنهم ظنوا أن " أولاد حارتنا " ليست ضد الأديان ولكن ضدهم "وضحك" ثم قال : يعنى ضد الاستبداد والظلم .

تحدثت باندهاش عن السادات وقلت أنه أصبح داهية بعد ١٥ مايو هل اعتقال الزملاء شئ جيد؟

كان هناك صراع بينهم وعرف السادات ذلك ، لأن داخله سياسة طويلة ، وثبت أنه من أكبر السياسيين العالميين وليس المصريين فقط .. ففطن إلى أنه يجب أن يتخلص من أشخاص رغبوا فى التخلص منه . فالرجل الذى استضعفته فى البداية ثبت أنه عملاق

وكان بطل حرب .. وبطل سلام . أعاد لمصر وللعرب كرامتهم وإحساسهم بالحياة بعد ما كانوا فى أسوأ حال .

عندما تحدثت عن أزمة ١٩٥٤ .. لم تذكر خالد محيى الدين .. لماذا ؟

لا .. دور خالد كان كبيرًا حيث كان من الشخصيات العظيمة ومن أحب رجال الثورة إلى نفسى وأقربهم لآمالى لأنه كان رجلاً يحب الديمقراطية .. شجاعًا ونزيهًا وشهمًا .

عامر

ظهر فى حواراتك مع رجاء النقاش تحاملك على المشير عبد الحكيم عامر رغم معرفتك به قبل الثورة .. وقلت أنه رجل شهم .. ولكنه لا يصلح للقيادة ؟

قالوا ذلك .. كيف نحضر ضابط " صاغ " فى رتبة بسيطة ونصنع منه قائدًا عامًا للجيش يخوض حربًا .. هذا ظلم فكان يجب أن يكون إما نابليون أو تحدث الكارثة على يده .. لم أعرفه شخصيًا ولكن سمعت عنه أنه كان إنسانًا محبًا للناس لكنه غير قيادى .. مركزه كان سينجح فيه إذا كان نابليون بونابرت ما عدا ذلك لا ينفع !

أنكر الدكتور ثروت عكاشة أن يكون استدرجك إلى مكتب المخابرات للقاء صلاح نصر . ولكنك متشكك فى هذا القول ؟

لم أشك فى ثروت عكاشة إطلاقًا .

قلت أنك لم تكن مستاء من حادث المنشية .. هل يعنى ذلك أنك مع الإخوان المسلمين ؟

لا . هذا الحادث قديم .. وكنت لم أندمج بعد فى الثورة .. لم أكن من أتباع يوليو ولكن كان يغلب على نفسى الوفد القديم وكنت أرى أن الثورة اغتصبت الشعب من الوفد .. هذا كان التعبير عن الفرح وليس الفرح بالفعل !! بالعكس كنت أعادى الأخوان المسلمين ليس من الناحية الدينية ولكن من الناحية الوفدية أيضًا لأنهم كانوا قد بدأوا والثورة فى أولها لم تكن قد دخلت بعد فى صدرى حتى جاء تأميم القناة الحدث الفاصل فى نفسى مع عبد الناصر ، قبل ذلك الأعمال الكبرى تمت فى عهد محمد نجيب مثل عزل الملك .

ولماذا أغفل الضباط الأحرار دور محمد نجيب فى الثورة وكتبه التاريخ ؟

قد يغفلونه ولكنه لن يُغفل .. التاريخ يترك الناس تلعب دورها ثم يقوم بكتابة نفسه .. "ثم نظر إلَّى فاحصًا" : ها أنت قد شهدت هذه الشهادة الصادقة .. نجيب هو أول رئيس جمهورية لمصر .. وهو الذى قام بحركة ضد الملك قبل الثورة فى انتخابات نادى الجيش والتى كانت فيما بعد شرارة ألهبت ثورة ٢٣ يوليو .

• • •

ومثلما كان حديث نجيب محفوظ فى السياسة ثريًا وعميقًا جاء حديثه عن الأدب حرفته وعشقه الأول الذى أمضى سنين عمره يجدد فيه ويضع لبنات صرح الثقافة المعاصرة بكتاباته ورواياته الخالدة .. ولكن هل أفلس الأديب الكبير مثلما يدعى البعض ؟ كان هذا السؤال هو بداية حوار جديد مع الكاتب العالمى نجيب محفوظ :

أصداء السيرة الذاتية ، هل هى نهاية مشروع نجيب محفوظ الروائى ، كما يقول البعض ؟

كتبت أصداء السيرة الذاتية فى ظروف مرضية كخواطر ولم أفكر فى نشرها ، لأنها كانت بمثابة تنفيس عن ضيق شعرت به فى لحظة ما ، وذكريات عبرت أمامى وأردت تسجيلها ، وعندما أجريت جراحة فى لندن ، وعدت لأقضى فترة نقاهة أكملت كتابتها ، وأعدت قراءتها فشعرت أنها تحتاج لبعض التعديلات خاصة أنى كتبتها بطريقة عشوائية فعدلتها وكتبتها دون أدنى تفكير فى نشرها .

لماذا ؟

هذا السؤال كان أصدقائى يطرحونه : لماذا لا تريد نشرها ؟ فكنت أقول لهم لأنى لا أراها رواية أو مجموعة قصص قصيرة ، وليست شعرًا بالضرورة ، فكيف أنشرها وتحت أى مسمى ؟

فاقترحت عليهم قراءاتها ونقدها بصراحة تامة (مع أنى أخشى استطلاع آراء النقاد فى أعمالى قبل نشرها) ، ولم ألجأ لذلك طوال عمرى ، فتركتها فترة طويلة ، حتى طلبت " جريدة الأهرام " منى عملاً لتنشره فقررت تقديمها وقلت لو كانت صالحة فسأتخلص منها بالنشر ، وإن لم تكن فلن تنشر ، ولكنها حظيت بالقبول والنشر ، وكانت آخر ما كتبت .

ابتدعت لغة مبسطة للحوار فى رواياتك تعتمد على الفصحى ، فانتقدك البعض وطالبوك باللجوء إلى العامية فى الحوارات لأنها الأقرب - من وجهة نظرهم - للتعبير عن الشخصية التى تتحدث فى الحارة فلماذا اخترت الفصحى ؟

هذه قضية طرحت فى وقت سابق ، عندما فرض علينا كمبدعين حل مشكلة اللغة ، وهناك من لجأ إلى كتابة أعماله بالعامية نصًا وحوارًا ، وهناك من لجأ إلى كتابة السرد بالفصحى والحوار بالعامية والبعض (وأنا منهم) كتبوا بالفصحى ، وهؤلاء كان لهم أثر خاص فى تطوير اللغة بالأسلوب الروائى خصوصًا فى الحوار ، وكثير من الحوارات يقرأها الفرد متصورًا أنها مكتوبة بالعامية ، ولكنها فى الحقيقة فصيحة .

هناك ثنائية أخرى أحب أن أتوقف أمامها وهى الرواية أم الروائى ، من يتحكم فى من ؟ ومن يحكم سير الكتابة ؟ وهل هناك ضرورات (كالمواءمة الإجتماعية) تتدخل فى الصياغة النهائية ؟

الفكرة والشخصيات والأسلوب هى المكونات الأساسية للرواية لدى ، ولكل رواية ظروف كتابة تختلف عن الأخرى ، أما تقاليد المجتمع فلماذا أضعها عقبة أمامى عند الكتابة وأبحث عن التلاؤم معها ؟ شخصياتى يصح أن تعكس تقاليد المجتمع ويصح أن تتمرد عليها تبعًا لظروفها .

حرية الفن

أيهما تفضل : التمرد أم الانسياق ؟

لكل مقام مقال ، ولكل رواية ظروف .

ولكن البعض يفرق بين نجيب محفوظ الروائى ونجيب محفوظ الكاتب السياسى ، فالأول متمرد على الواقع والثانى "محافظ " ؟

" يضحك ضحكة صافية " قبل أن يقول : كل قضية أطرحها أناقشها بعمق للتأكد منها ، وما أكتبه لا يتفق دائمًا مع الواقع بل أطالب بتغييره وكثيرًا ما كتبت بهدف التغيير فى قضايا نظام الحكم والتعليم والعادات والأخلاق التى تسود المجتمع ، ومقولة أننى

أسايرِ الواقع والتقاليد فى كتاباتى السياسية وأتمرد عليها فى الفن غير دقيقة ، ولكنى أجد حريتى فى الفن أكثر .

وهل هذه الحرية تجعل الكاتب مؤهلا للتحكم فى توجيه الثقافة العربية أم أن التوجيه ملك للناشر ؟

بحزم – المؤلف سيد الموقف .

ولكن لماذا يشكو الكتاب من سيطرة الناشرين ؟

هذا صراع قديم بين المبدع الذى يملك الجديد من الرؤى ليقدمه ، وبين الجمهور الذى سكن إلى قيم ثابتة قديمة ، ولابد من هذا الصراع لتستمر الحياة .

وما مدى حرية الكاتب فى طرح ما يريد ؟

المبدع لابد أن يكون حرًا ، ولكن الحرية هى المسئولية ، فيجب عليه أن يقدر – وهو يعبر بحرية – عن ظروف مجتمعه والصدام المحتمل بين حريته والمجتمع ، والصراحة الكاملة لا تتحملها كل المجتمعات ، والذى يحسم المشكلة هو ضمير الكاتب ، وقد يخطئ أو يصيب ، ولكن تصحيح الخطأ لا يكون بالتكفير بل بالتفكير والمناقشة ودون تدخل السلطات فهذا أفضل .

وماذا عن الرقابة ؟

من وجهة نظرى لابد أن يترك للفكر والأدب الحرية الكاملة وأن يناقش الأدب بوصفه أدبًا وفى مجالات وأماكن الفكر والأدب ، ولو جنح شخص ما فيما يكتبه فإنه " يعاقب " أدبيًا وفكريًا دون تدخل هيئات أخرى !!

تحدث البعض عن استخدامك لمنهج التحليل النفسى فى رواياتك ولا سيما الحرافيش ؟

أنا لا استخدم المناهج العلمية فى كتاباتى ، وإنما أستمدها من مشاهداتى وتجاربى الشخصية مع الواقع وتحليلى لها وليس تطبيقًا لأية نظرية علمية .

عرفك قطاع كبير من الجمهور عن طريق السينما ، فلماذا كانت تعليقاتك على أفلامك غير إيجابية ؟

" ضحك بشدة " وقال : " هو لازم أشتمها " ، واستطرد : أولاً أنا مدين للسينما بالكثير ، فبعيدًا عن الجانب المادى المجزى فى مقابل فقر مردود الأدب ماليًا ، أوصلتنى السينما للذين لا يقرأون ، فإذا كانت الكتابة عرفتنى للآلاف ، فإن السينما جعلتنى معروفًا للملايين ، ولكى يصلح العمل الأدبى كعمل سينمائى لابد من مراعاة الجوانب الفنية الخاصة بكل وسيلة تعبيرية ، وأنا من أنصار فكرة أن الكتاب لمؤلفه والفيلم لمخرجه .

سبق أن تعاونت مع المخرج الكبير يوسف شاهين ، فلماذا لم يستمر هذا التعاون ؟

يوسف شاهين مخرج مشرف ومتميز وتعاملت معه فى فيلمه الجميل " الاختيار " وكنا سنستمر فى هذا التعاون ، بعد أن أخذ منى " الحرافيش " لإخراجها للسينما ، ولكن ربما بسبب انشغاله بأفلامه ركنها واحتفظ بها حتى سقطت مدتها !!

نعود للكتابة وأسأل - صاحب نوبل - فى كتاباتك نلمح أصداء لسيرة الشعر العربى ، فما هو رصيد الشعر فى بنك نجيب محفوظ ؟

أقرأ الشعر قديمه وحديثه ، ويطربنى الشعر الجاهلى كما يطربنى نزار قبانى وصلاح عبد الصبور والبياتى وحجازى وغيرهم ، أنا عاشق للشعر .

وقراءة الآخرين ؟

ماذا تقصدين بالآخرين ؟

أبناءك ورثة مشروعك الروائى مصريًا وعربيًا ؟

" شوفى " منذ سنوات طويلة وأنا لا أقرأ ولا أشاهد التلفزيون ولا أستمع للإذاعة ، يعنى أن مقطوع الصلة بكل منابع الثقافة ، ولكن يبقى لى بعض الأصدقاء الذين ألتقى بهم ، فيعرضون على قصصهم أو رواياتهم القصيرة على جلسات ، ومتابعتى محدودة - يصمت قليلاً ويشرد بذهنه - ثم يقول : كنت قارئًا شرهًا لا تفوته صغيرة أو كبيرة وسبحان مغير الأحوال .

عاودت السؤال عن الورثة فقال : حكمى لا يؤخذ به بسبب ابتعادى عن القراءة ، ومنذ زمن مضى كان هناك الغيطانى ، وإبراهيم أصلان ، وصنع الله إبراهيم و إبراهيم عبد المجيد ومحمد البساطى والقعيد والمخزنجى ، قرأت هؤلاء ولكن توقفت الآن .

روايات أمريكا اللاتينية على يد ماركيز وبورخيس وأمادو شكلت تياراً سمى بالواقعية السحرية ، فلماذا لم تستطع الرواية العربية تشكيل تيار إبداعى خاص بها ، وعاشت على موائد التيارات العالمية تأكل من نتاجها ؟

الأدب اللاتينى غزا ميدان الأدب الغربى منذ زمن بعيد وصار جزءًا منه ، ولكنه تميز عليه فأصبح له نقاد وقراء ، أما الأدب العربى فلم تتح له هذه الميزة حتى الآن ، لأنه لا يزال يتحسس خطواته الأولى نحو العالمية ، ولكنى متفائل لأنه مع بذل الجهد سيصبح له شأن وشخصية متميزة عن غيره من تيارات الأدب .

الخطوة الأولى على سلم العالمية ، كانت لك مع جائزة نوبل ، ومع ذلك خرج من يقول إن الجائزة منحت لأسباب سياسية لا إبداعية - هل مازلت تشعر بالإستياء من هذه المقولات ؟

والله لكل إنسان رأيه وهو حر فيه ، ولجنة نوبل نفسها تضم مجموعة من أهل الخبرة والنقد ، لا أستطيع إنكار أن خارجها أشخاصًا لديهم خبرة وقدرة على النقد ، وطبيعى أن تختلف الآراء حول المبدع وإبداعه .

وكيف ترى مستقبل الثقافة العربية فى القرن القادم ؟

القرن القادم هو قرن الانفتاح الكامل ، وستنهمر علينا ثقافات العالم باختلاف أنواعها ، وما نحتاج إليه فى هذا المحيط الغامر هو القدرة على النقد والاختيار ، وسيساهم فى إنجاح عملية الاختيار عاملان : أولهما التعليم الذى لابد أن تتسع رقعته وأن تربى فينا عقلية ناقدة مفكرة لا حافظة ، والثانى هو المجلات الثقافية التى تعوِّد الناس على الاختيار والفرز وفق معايير موضوعية لأننا إن لم نتعلم النقد والاختيار فسنغرق .

الثقافة القادمة ستكون ثقافة صورة فى مقابل ثقافة الكلمة ؟

الصورة وكل أشكال الثقافة الجديدة كالإنترنت مثلاً ستعطى الثقافة مجالات أخرى وروافد جديدة . ولكن المسألة تحتاج لتنظيم للاتفاق بين الناشرين مثلاً والشركات المشاركة فى الإنترنت حتى لا تضيع الحقوق ويتوقف النشر .

وما رأيكم فى تطبيق حقوق الملكية الفكرية بصرامة فى ظل اتفاقية الجات ؟

أعرف أن تنفيذ اتفاقيات حقوق الملكية الفكرية بشدة سيؤثر على البلاد الفقيرة فى العالم الثالث ، ولكنه فى الواقع حق لا نملك الاعتراض عليه ، فمن يملك حق تبرير السرقة ؟

وماذا عن حقوقك لدى الناشرين العرب ؟

تسألينني عن الجات (جاتنا نيلة) ، قالها وأطلق ضحكة مدوية قبل أن يقول : كل كتبنا تزوَّر فى العالم العربى لدرجة أن طبعات كتبنا أصبحت محلية والأستاذ السَّحَّار ناشر كتبى يطبع الكتاب لمصر فقط ، أما ما ينشر خارجها فلاشك أنه مزوَّر .

يتحدث البعض عن التأثير السلبى لثقافة النفط على الثقافة العربية ، هل ترى هذا صحيحًا ؟

أولاً أنا ضد التعميم المُخِلّ – ولماذا ننظر للسلبيات فى كل الأمور ، ولماذا نرى الأشياء ، وكأنها شر خالص – لابد أن نتعامل مع الأشياء ، كعوامل للصراع تحرك الإنسان للتحدى ، وعندما ظهر البترول فى بلاد الخليج لم يؤسس ثقافة بل أنتج أفكارًا أخرى تتصارع مع هذه الأفكار داخل بلاد الخليج نفسه ، ومن هنا يبدأ الحوار الثقافى أو الصراع الثقافى .

ولا نستطيع إنكار فضل البترول فى النهوض بشعوب كثيرة ليصنع لها حضارة ، وهذه الأمم ساعدت كثيرًا من البلاد التى حولها ، ونحن منهم ، فلماذا ننظر للسلبيات .

هناك ملايين الدولارات حصلنا عليها من أشقائنا فى الخليج و أنفقناها فى تطوير وتحسين مرافقنا مثلا ، والأفكار السلفية التى اختلفنا معها لاشك أنها أقامت صراعًا ،

وحثت الناس على التفكير والمناقشة والعمل وهذا شئ إيجابى .

وهل أنت راض عن واقع حقوق الإنسان فى عالمنا العربى ؟

لا لست راضيًا ، لأننا نسمع عن المعاملة السيئة التى يلقاها المواطن العربى فى بلاده ومقياس حضارة الأمم هو احترامها لحقوق الإنسان !!!

القضية

قلت لشيخ الروائيين العرب: جيلنا يتحدث عن ضياع القضية التى جمعت الآباء فى الماضى ليناضلوا فى سبيلها .. فماذا تقوله ؟

" يا سلام عليكم يا شباب .. أه يا شباب .. لدينا ٥٥٪ أمية ولا توجد قضية ، ملايين يعيشون تحت خط الفقر ولا قضية ، بطالة وفساد ولا قضية ، مسافات شاسعة تفصل بيننا والمجتمعات التى تحترم حقوق مواطنيها ولا قضية ، نفتقد لمجتمع علمى ونظيف ينقذنا من تخلفنا وتسألون عن القضية ، هل لابد أن تكون القضية معركة ؟ القضايا يا ابنتى لا تعد ولا تحصى ولا يمكن أن ندعو الإنجليز مرة أخرى لاحتلالنا لكى تصبح لنا قضية ؟!

يكفى وجود إسرائيل وما تفعله لهدم صرح السلام ، هل مازلت مؤيدًا للسلام يا أستاذ نجيب؟

هناك كثيرون يسعون للسلام وأنا معهم ، على أساس المطالبة بسلام شامل ودائم وعادل ، وليس أمامنا بديل سوى السلام ، ويجب أن نسعى إليه بكل الطرق .. للسياسيين طرقهم التى يمارسون تفاصيلها كل يوم ، وإذا كانت هناك فئات من الجماهير تتطلع للتفاهم مع نظرائهم من طلاب السلام فى إسرائيل فلابد أن نترك لهم الفرصة للضغط على الحكومة الإسرائيلية المتعنتة .

وهل يمكن أن تزور إسرائيل إذا كان هذا فى مصلحة السلام ؟

أنا لن أزور إسرائيل لأنى لا أتحرك الآن ، وأنا لم أسافر لنوبل وأنت تطرحين سؤالاً افتراضيًا ، وإذا استثنيت نفسى فإن أى فرد من حقه أن يزور إسرائيل بشرط أن تكون هذه الزيارة فى مصلحة السلام.

وكيف يمكن استغلال وضعك الأدبى وشهرتك لخدمة قضايا العرب ؟

كلما سنحت الفرصة وفى حدود إمكاناتى لا أدخر وسعًا فى استغلال لقاءاتى التى تنظمها معى تليفزيونات العالم أو الصحافة ، فأمثل وجهة النظر العربية فى قضايا كالإرهاب الذى أرفضه وأرفض ربطه بالدين الإسلامى الحنيف ، وكل ما أقوله يدل على عروبتى وأتفق مع غالبية الشعب العربى على القضايا الجوهرية ، ولكنى لا أملك سوى الحديث فى اللقاءات فلا أستطيع السفر أو الحركة .

عندما سألت الروائى نجيب محفوظ عن مفردات يومه ، تنهد بأسف لدرجة أنسى خجلت من سؤالى وقال : أتدرب على كتابة اسمى بصعوبة شديدة ، لأن عملية الكتابة جزء من العلاج من آثار جريمة الاعتداء ، أما وقت القراءة فهو قليل ، هناك من يأتى إلى من الأصدقاء ليقرأ لى الأهرام لأننى لا أستطيع القراءة .

ومعظم أوقاتى أقضيها بالمنزل ، وأستقبل ضيوفى والصحفيين يوم السبت فقط من كل أسبوع ، ويمر علىّ الأصدقاء لنذهب للمقهى فنجلس جلسات سمر تضم أدباء ومثقفين .

بعد أكثر من نصف قرن على الثلاثية (قصر الشوق - بين القصرين - السكرية) .. كيف ترى شخصية السيد أحمد عبد الجواد؟

رحمه الله ، لكل زمان دولة ورجال ، هناك فضائل تبقى وسلبيات تذروها الرياح ، " الشخط " ليس هو الأبوة ، هناك الحب والهيبة ولمة العائلة والجلسة الحلوة .

لو أسست ناديًا للحائزين على جائزة نوبل فى الآداب وكنت رئيسه ، فمن ستضم معك لعضوية النادى ؟

ضحك وقال : المفروض نظريًا أن يشترك كل من حصل على جائزة نوبل ، وإن كان هناك من لا يستحقها على الإطلاق !

مثل من ؟

لا داعى للإحراج ، والمهم انتظرى حتى أقوم بتأسيس النادى أولاً ، ثم ننظر فى أمر العضوية والأعضاء.